

وسائل التواصل الاجتماعي منافس شرس للكتاب في العالم العربي

الترويج للقراءة الرقمية فرصة لمنح المطالعة المزيد من الاهتمام



فاقم الهوس بمواقع التواصل الاجتماعي من تحديات القراءة في العالم العربي. وفيما تلاقي القراءة الإلكترونية رواجاً في الغرب، إلا أنها لا تحظى باهتمام كبير لدى المواطن العربي. ويؤكد متابعون أن غياب وسائل ترويج للكتاب الإلكتروني قد عمق الأزمة، وللتحفيز على القراءة واستعادة الكتاب زخمه وجمهوره، لا بد من توظيف إيجابيات التكنولوجيا ببذل المزيد من الجهود لنشر ثقافة القراءة الرقمية بالمنطقة العربية.

تونس - يشكل الانجذاب الكبير نحو مواقع التواصل الاجتماعي تحدياً بالنسبة إلى جمهور الكتاب والقراءة في العالم العربي، خاصة أن أغلب مستخدمي الفضاء الرقمي يقضون أوقاتهم في الدردشة وتناقل المعلومات أو اكتشافات تطبيقات جديدة.

ورغم أن وسائل التواصل كانت وسيلة للتعبير في المجتمعات العربية عن الواقع السياسي والاجتماعي خاصة أعقاب ما عرف بثورات "الربيع العربي"، حيث كانت وسيلة لنقل المواقف والآراء بخصوص ما تعانيه الشعوب من أزمات، إلا أنه يطغى عليها اليوم الجانب الترفيهي والذي كان له تأثير على نسب القراءة التي تشهد تدهوراً من فترة إلى أخرى.

وأظهر تقرير أصدرته مؤسسة الفكر العربي نشر سابقاً، أن متوسط قراءة الفرد الأوروبي يبلغ نحو 200 ساعة سنوياً بينما لا يتعدى المتوسط العربي 6 دقائق. وحسب إحصاءات منظمة اليونسكو، لا يتجاوز متوسط القراءة الحرة للطفل العربي بضع دقائق في السنة، مقابل 12 ألف دقيقة في الغرب.

وضاعفت أزمة الوباء وما نتج عنها من إجراءات وقائية قادت إلى حجر صحي شامل في أغلب دول العالم من هوس الشباب العربي بوسائل التواصل الاجتماعي، وذلك مع انتشار الفيديوهات الطويلة التي تصور كيفية قضاء أوقاتهم في الحجر. وفي حين حضرت بقوة مختلف التطبيقات الرقمية أثناء الأزمة الصحية، إلا أن الإقبال على الكتاب كان ضعيفاً سواء في نسخته التقليدية أو حتى الرقمية.

ورغم أن التعليم بعد بضع أيام بعد الوباء المرتقب في زمن الأوبئة الذي يفرض تباعداً اجتماعياً، إلا أن إقناع جمهور التواصل بالإقبال على القراءة حتى في صيغتها الرقمية يبدو مهمة صعبة في ظل غياب الشغف وماجس المعرفة، حسب المتابعين.

وفيما يقر المتابعون بأن فقدان الكتاب زخمه في العالم العربي ناجم عن أزمة فكرية وثقافية و"أزمة كتابة" أيضاً في ظل تراجع الإنتاج، إلا أن هؤلاء يجمعون على أن وسائل التواصل قد سحبت البساط من جمهور الكتاب، وعليه فإن التحدي الحقيقي هو إقناع وترغيب الشباب بالقراءة في العصر الرقمي وبادوات رقمية.

وحسب إحصائيات خاصة باستخدام مواقع التواصل في الدول العربية لعام 2020، فإن القاعدة الجماهيرية الأكبر من حيث عدد المستخدمين لهذه المواقع تتراوح ما بين سن 25 و34 عاماً. وغالباً ما يكون مجال التسوق والموضة صاحب النصيب الأكبر في معظم الدول العربية، خصوصاً على منصات إنستغرام وسنابشات.

سلاح ذو حدين

إذا كانت وسائل التواصل الاجتماعي تشكل منافساً شرساً للكتاب في العالم العربي بسبب الانجذاب الكبير نحوها، إلا أنه بالوسع التغلب على هذا التحدي من خلال تحويل الفضاء الرقمي إلى مساحة للترويج للقراءة والمطالعة والمعرفة. وهناك تجارب عربية عديدة أثبتت نجاعتها في ذلك.

وفي تونس يقدم الشباب مهاب الحبيري (34 سنة) نموذجاً إيجابياً،

إمكاننا دائما استعادة شغفنا بالقراءة

عن مؤشر القراءة في العالم العربي، وتوصلت فيه إلى وجود "إقبال ملحوظ من المواطن العربي على القراءة"، حسب ما نقلته تقارير إعلامية. واحتلت خمس دول عربية مرتبة متقدمة في القراءة، حيث جاء لبنان في المركز الأول تلتها مصر ثم المغرب والإمارات وأخيراً الأردن. وأوضح التقرير أن النتائج جاءت على عكس البيانات والإحصاءات التي نشرت سابقاً عن المنطقة العربية.

واستند التقرير على استبيان إلكتروني ضخم شارك فيه ما يزيد عن 148 ألف مواطن من كافة الدول العربية ومن مختلف الفئات، منهم 60.680 طالباً وطالبة من مختلف المراحل التعليمية، و87.614 من غير الطلبة المنتمين إلى شرائح اجتماعية ومهنية مختلفة.



وحسب هذا التقرير بلغ المعدل العربي لساعات القراءة سنوياً 35.24 ساعة، وتراوح الأرقام بين 7.78 ساعة في الصومال التي تعد أقل معدل، و63.85 ساعة في مصر كأعلى معدل، فيما بلغ المتوسط العربي لعدد الكتب المقروءة سنوياً أكثر من 16 كتاباً، وسجلت جيوتي وجزير القمر والصومال أقل معدل في عدد الكتب المقروءة بما يساوي 1.76 كتاباً، بينما سجل لبنان المعدل الأعلى بموجب 28.6 كتاباً.

وبين التقرير أن القراءة الرقمية تفوقت على الورقية، إذ بلغ المتوسط العربي لنسب القراءة الرقمية 19.45 ساعة سنوياً مقابل 16.03 ساعة للقراءة الورقية، وأرجع التقرير ذلك إلى الانتعاش الكبير لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وظهور بدائل تبدو أكثر جاذبية من الوثائق المطبوعة، إضافة إلى سرعة انتشار الوثائق والكتب الإلكترونية وسهولة الحصول عليها وقلة تكاليفها.

وسبق أن طرحت شركة أمازون الأميركية تطبيق "كيندل كونفرت" الذي يهدف إلى المساعدة في تحويل الكتاب المطبوع إلى رقمي. ويتيح هذا التطبيق تحويل الكتب المطبوعة أو الوثائق إلى كتب رقمية من خلال عملية مسح ضوئي لتلك الكتب ومن ثم حفظها كنسخة رقمية يمكن قراءتها عبر جهاز القارئ الإلكتروني كيندل الذي تنتجه أمازون ذاتها.

مبادرات عربية

ظهرت في السنوات الأخيرة مبادرات عربية هدفها إعادة الإلق إلى القراءة، كالترويج بمسابقات للتحفيز على القراءة أو الدعاية المكثفة لمعارض الكتب، أو القيام بمكتبات متنقلة تستهدف أساساً الجمهور التقليدي الذي لا يجذب القراءة إلكترونياً.

ويعد تحدي القراءة العربي الذي أطلقه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 2015، من أهم المبادرات لرفع الوعي بأهمية اللغة العربية وإعادة إحياء عادة القراءة لدى الطلبة العرب وتكريسها أسلوب حياة وخلق أجيال مثقفة.

وتعمل هذه المبادرة على تشجيع القراءة في المنطقة من خلال إلزام كل طالب وطالبة بقراءة خمسين كتاباً خلال كل عام دراسي، وتلاقي المبادرة رواجاً واحتماماً كبيرين.

وخلال أزمة كورونا، شجعت الإمارات من خلال عدة مبادرات على القراءة الرقمية كبديل عن الفعاليات والأنشطة التي تم إيقافها في إطار الإجراءات الوقائية.

وتحاول الدول العربية مثل المغرب وتونس ولبنان تحفيز الشباب على القراءة، رغم ما تعانيه من صعوبات اقتصادية واجتماعية أقت بظلالها على الواقع الثقافي. وفيما يجمع المتابعون على أن عادات القراءة تآثرت في المجتمعات العربية في ظل انتشار وسائل التواصل الحديثة، إلا أن الأرقام الحديثة تشكل مؤشراً إيجابياً، وتكشف أنه بالإمكان توظيف التكنولوجيا لصالح الكتاب ومجبيه رغم الصعوبات. وكانت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في الإمارات قد أعدت بالشراكة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقريراً

يفتقده كثير من الشباب العربي اليوم. وتابع "قيمة المعرفة والبحث والرواية والأدب متدهورة في مجتمعاتنا وبالتالي لا نجد سبباً محفزاً على القراءة".

وبين مبروك أن الاستعمال المكثف للإنترنت ليس السبب الحقيقي لتراجع نسب القراءة، بل ما فاقم الأزمة هو "عدم ابتكار وسائل للترويج للكتاب الإلكتروني، إضافة إلى عدم تخصيص مساحة للكتاب في الفضاءات العامة".

واستنتج أن الحل يكمن في "ابتكار أساليب جديدة لإعادة مصالحة المواطنين مع الكتاب وعدم جعل الإنترنت هي الخصة للدردشة". ولا تزال خطوات التسويق الإلكتروني في العالم العربي بطيئة وتصلد بجملة من الصعوبات، حسب ما رصدته كتاب "دراسات في الإعلام الإلكتروني"، ومن أبرزها غياب البنية التحتية الضرورية لهذا النوع من التجارة الحديثة، وارتفاع التكلفة المادية للتحويل إلى التسويق الإلكتروني، وعدم توافر أجهزة الكمبيوتر لدى نسبة كبيرة من الأسر ذات الدخل المالي المحدود، إضافة إلى عدم تقبل العملاء لفكرة الشراء عبر الإنترنت حيث لم تشهد ثقافة القراءة الإلكترونية رواجاً كبيراً، وكذلك نظراً لغياب الثقة في وسائل الدفع الإلكترونية.

ويؤكد الخبراء أن التكنولوجيا تشكل سلاحاً ذا حدين، فكما تساهم في إيمان الشباب على مواقع التواصل، توفر أيضاً فرصاً جيدة لشغف القراءة.

وعلى سبيل المثال، تقدم هواوي (عملاق الاتصالات الصيني) حلولاً رائعة لتتمكن من قراءة كتابك المفضل دون الحاجة لإصطحابه معك أينما ذهبت. ومن بين هذه الحلول ما يوفره أكبر متجر للتطبيقات في العالم، الذي يستخدمه أكثر من 500 مليون مشترك نشط شهرياً من مختلف أنحاء العالم، من تطبيقات ذكية للقراءة وأبرزها تطبيق "أبجد" الذي يحتوي على مكتبة إلكترونية ضخمة تضم كتباً وقصصاً وروايات ومراجع من أحدث الإصدارات ومن شتى المجالات، بما فيها علم النفس والفلسفة والبيوغرافيا والسياسة والتاريخ والأديان وتطوير الذات وغيرها من الكتب العالمية المترجمة إلى العربية، إضافة إلى كتب نادرة وأخرى من بين الأكثر رواجاً.

واعتبر مبروك أنه من الطبيعي أن تراجع القراءة في المجتمعات العربية في الوقت الذي تشهد فيه نسب الأمية ارتفاعاً، مشيراً إلى دور التنشئة التي تعود إلى استعمال هاتمية لوسائل التواصل في ظل غياب التوعية، وهو ما يفسر استغلال البعض للإنترنت في البحث العلمي وآخرين للتسلية والترفيه، حسب تعبيره.

ورأى أن "ماجس المعرفة وسواس البحث الجميلة عادة ما تكون الدافع نحو القراءة"، غير أن هذا الشغف كان منذ صغر سنه، سواء من خلال قراءة الكتب أو الجرائد والمجلات، وبين أن قدرته على تحقيق الرقم القياسي في قراءة الكتب (120 كتاباً) تعود بالأساس إلى أوقات الفراغ التي يستغلها في المطالعة، هذا بالإضافة إلى أزمة الوباء والإجراءات المتخذة للوقاية منه مما يسمح بالبقاء أكثر في المنزل، وهذا الأمر مقل حافزاً بالنسبة إليه من أجل المطالعة أكثر.

وفي حين يستغل الكثير من الشباب وسائل التواصل للدردشة، إلا أن الحبيري يؤكد أن هذه الوسائل قد ساعدته في إثراء زاده المعرفي، من خلال المجموعات المختصة في الحديث عن المطالعة أين يتمكن من الحصول على مقترحات لعناوين كتب، هذا بالإضافة إلى مطالعة كتب رقمية.

ورغم الأرقام المفزعة التي تؤكد حالة العزوف الكبيرة عن القراءة في المنطقة، إلا أنه يمكن استغلال مواقع التواصل في الترويج للقراءة، كما أنها ليست العامل الرئيسي في نسبة العزوف، حسب ما يذهب إليه الخبراء.

ويرى أستاذ علم الاجتماع مهدي مبروك في حديثه لـ "العرب"، أن "تبرير تراجع القراءة في العالم العربي بسبب المحاميل الرقمية غير دقيق".

وعلى العكس من ذلك، يشير مبروك إلى أن المجتمعات التي تستعمل المحاميل الرقمية هي الأكثر قراءة مثل الولايات المتحدة والمانيا، في حين تراجع القراءة بشكل ملحوظ في المنطقة، لافتاً إلى توفر مواقع إلكترونية جيدة تساعد على الإطلاع والمعرفة.

وفي السنوات الماضية، ازدهرت سوق الكتب الإلكترونية في الغرب، حيث شهدت الولايات المتحدة إقبالاً قارب 8.5 مليون شاب من البالغين (18 في المئة من السكان) على شراء الكتب الإلكترونية.



هواوي تقدم حلولاً لتتمكن من قراءة كتابك المفضل دون الحاجة لإصطحابه معك أينما ذهبت، وذلك عبر تطبيق «أبجد» الذي يحتوي على مكتبة إلكترونية ضخمة

